جامعة المستقبل
كلية العلوم
قسم علوم الحياة

اسم المادة الدراسية: اللغة العربية

المرحلة الدراسية: الثانية

عنوان المحاضرة: الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري

المحاضرة السابعة

اسم التدريسي: م. م. محمد علي حسين

المحاضرة السابعة

الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري

أولاً: تعريف الألف الممدودة والألف المقصورة

يُعد محمد مهدي الجواهري (٢٦ يوليو/تموز ١٨٩٩ – ٢٧ يوليو/تموز ١٩٩٧) أحد أعظم شعراء العربية في العصر الحديث، بل إن الكثير من النقاد يُصنفونه كأهم شاعر عربي في القرن العشرين. لقب بـ "شاعر العرب الأكبر" و"شاعر العراق الأكبر"، وذلك لأنه استطاع أن يعبر بصدق عن هموم الأمة العربية والإنسانية، في زمن امتد قرابة قرن من الزمان، عاصر خلاله انهيار الإمبراطورية العثمانية، وقيام الملكية في العراق، وسقوطها، وصولاً إلى عراق ما بعد الاحتلال .

تميز الجواهري بشعر قوي، جزل، كلاسيكي، التزم فيه بعمود الشعر العربي التقليدي، وكان امتداداً لشعراء كبار أمثال المتنبي، غير أنه صاغ هذا التراث بروح عصرية تبحث عن الحرية والعدالة الاجتماعية .

المبحث الأول: النشأة والتكوين

١. الميلاد والمنبت

وُلد محمد مهدي الجواهري في مدينة النجف الأشرف، التي كانت تشكل آنذاك منارة للعلم والأدب. تعود أصول أسرته (آل الجواهري) إلى الشيخ محمد حسن صاحب "جواهر الكلام"، وهو مرجع ديني كبير، ومن هنا اكتسبت الأسرة شهرتها ومكانتها .

نشأ الجواهري في بيت دين وأدب. كان والده الشيخ عبد الحسين عالماً دينياً، وأراد لابنه أن يسير على نفس الدرب، فألبسه العمامة والعباءة وهو في العاشرة من عمره. لكن الجواهري كان يميل إلى الشعر منذ طفولته، واشتهر بذاكرته الفذة التي مكنته من حفظ آلاف الأبيات الشعرية في وقت قصير. يُروى أنه حفظ قصيدة من ٤٥٠ بيتاً في ثماني ساعات لينال جائزة .

٢. القطيعة مع المؤسسة الدينية

على الرغم من نشأته الدينية، إلا أن روح التمرد كانت تسكن الجواهري. أظهر هذا التمرد عندما خلع عمامته، رمز السلطة الدينية، مفضلاً الانخراط في الحياة العامة والسياسية والأدبية. تعمق بدراسة الفلسفة والمنطق والأدب العالمي المترجم، مما وسع آفاقه الفكرية .

المبحث الثاني: مسيرته السياسية والصحفية والنضالية

كان الجواهري شاعراً مناضلاً، وربما لا نبالغ إن قلنا إن سيرته الذاتية هي سيرة العراق السياسي في القرن العشرين.

· ثورة العشرين: شارك في ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني وهو لا يزال في الحادية والعشرين من عمره .

· الصحافة: أسس عدة صحف كانت لسان حال الشعب والوطن، مثل: جريدة "الفرات"، و"الانقلاب"، و"الرأي العام". كانت مقالاته وقصائده سبباً في إغلاق هذه الصحف مراراً وتكراراً، وسُجن بسببها عدة مرات في العهد الملكي .

· معاهدة بورتسموث (١٩٤٨): كان الجواهري نائباً في البرلمان، لكنه استقال احتجاجاً على هذه المعاهدة التي مددت النفوذ البريطاني في العراق. وكانت هذه المعاهدة سبباً في اندلاع انتفاضة "الوثبة" الشعبية، والتي سقط فيها شقيقه الأصغر جعفر شهيداً. كانت هذه الحادثة من أشد المحطات تأثيراً في حياته، ورثاه بقصيدته الخالدة "أخي جعفر" .

· المنافي: بسبب مواقفه السياسية، تنقل الجواهري بين المنافي. غادر العراق إلى إيران ولبنان، ثم استقر في براغ (عاصمة التشيك) لمدة سبع سنوات، ثم انتقل إلى دمشق التي أحبها وأقام فيها حتى وفاته، حيث كان في ضيافة الرئيس السوري الراحل حافظ الأسد .

المبحث الثالث: الخصائص الشعرية

١. الكلاسيكية الفخمة: حافظ الجواهري على وحدة الوزن والقافية، وتمكن من صياغة لغة عربية قوية جزلة، معتمدة على عمود الشعر العربي، لكنها كانت لغة حديثة غير متكلفة .

٢. الصدق العاطفي: سواء في رثائه لأخيه جعفر، أو في حنينه إلى العراق، أو في هجائه للطغاة، كان صادقاً مع نفسه ومع قرائه، وهذا ما جعل شعره خالداً .

٣. النزعة الإنسانية والوطنية: لم يكن شعره منحصراً في العراق فقط، بل امتد ليشمل القضايا العربية الكبرى، مثل القضية الفلسطينية، وثورة الجزائر .

٤. الجزالة والقوة: يوصف شعره بأنه "متن النسج"، أي أنه قوي البنيان، قليل الكلمات، كثير المعاني .

المبحث الرابع: أشهر قصائده

أنتج الجواهري دواوين كثيرة، منها: "بين الشعور والعاطفة" (١٩٢٨)، "ديوان الجواهري" (أجزاء متعددة)، "بريد الغربة"، "أيها الأرق" .

ولعل اختيار "أشهر" قصيدة له يظل محل جدل، فله عدة قصائد شهيرة. لكن لو تحدثنا عن القصيدة التي لامست وجدان العراقيين والعرب، واعتبرت أيقونة شعرية، فهي بلا شك قصيدته في رثاء أخيه "أخي جعفر". وقد قالها إثر مقتل أخيه في انتفاضة الوثبة عام ١٩٤٨.

من ناحية أخرى، هناك قصيدته الشهيرة عن العراق والتي تبدأ بـ "يا دجلة الخير"، والتي باتت معروفة على نطاق واسع كأجمل ما قيل في حب العراق. وسنكتفي هنا بذكر مقتطفات من القصيدتين.

أشهر قصيدتين للجواهري

أولاً: قصيدة "أخي جعفر" (مقتطفات)

يرثي فيها أخاه جعفر الذي قُتل برصاص الاحتلال أثناء المظاهرات، القصيدة تدمي لها القلوب، وتظهر الجواهري في أسمى صور الإنسانية والشاعرية.

قال فيها:

أَخي جَعْفَرًا يا رَواءَ الرَّبيعِ ... إِلى عَفَنٍ بارِدٍ يُسْلَمُ

وَيا زَهْرَةً مِنْ رِياضِ الخُلودِ ... تَغَوَّلَها عاصِفٌ مُرْزِمُ

لَثَمْتُ جِراحَكَ في "فَتْحَةٍ" ... هِيَ المُصْحَفُ الطُّهْرُ إِذْ يُلْثَمُ

وَقَبَّلْتُ صَدْرَكَ حَيْثُ الصَّميمُ ... مِنَ الْقَلْبِ مُنْخَرِقًا يُخْرَمُ

أَخي جَعْفَرًا إِنَّ رَجْعَ السِّنينَ ... بَعْدَكَ عِنْدي صَدىً مُبْهَمُ

ثَلاثونَ رُحْنا عَلَيْها مَعًا ... نُعَذَّبُ حِينًا وَنَسْتَنْعِمُ

نُكافِحُ دَهْرًا وَنُغْلَبُهُ ... وَنُغْلَبُ طَوْرًا وَنَسْتَسْلِمُ

ثانياً: قصيدة "يا دجلة الخير" (مقتطفات)

في هذه القصيدة، يخاطب الجواهري نهر دجلة رمز العراق، ويعبر عن حنينه العميق لوطنه.

حَيَّيْتُ سَفْحَكَ عَنْ بُعْدٍ فَحَيِّينِي ... يَا دِجْلَةَ الخَيْرِ يَا أُمَّ البَساتِينِ

حَيَّيْتُ سَفْحَكَ ظَمْآنًا أَلُوذُ بِهِ ... لَوذَ الحَمائِمِ بَيْنَ المَاءِ والطِّينِ

هَلْ لِي إِلَى أَنْ أُرَاعِي النَّخْلَ نَظْرَةٌ ... وأَنْ أَغُوصَ عَلَى لُؤْلُؤٍ مَكْنُونِ؟

يَا دِجْلَةَ الخَيْرِ كَمْ لِلْعَيْنِ فيكِ مَدًى ... مَفْتُوحَةٍ بِسَوَادِ المُقْلَةِ العُونِ